الرواية

مجلة أسبوعية للقصص والتاريخ

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصفه

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة

٣٠	في مصر والسودان
٥٠	في الممالك الأخرى
١	ثمن العدد الواحد

الإدارة

دار الرسالة بشارع البدولي رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

العدد ٥٩ — ١٣ جمادى الأولى سنة ١٣٥٨ — أول يولية سنة ١٩٣٩ — السنة الثالثة

فهرس العــدد

صفحة			
٦١٨	حياة للغير	أقصوصة مصرية	بقلم الأستاذ نجيب محفوظ ...
٦٢٣	وهبتها حياة ثانيـة	عن الانجليزية	بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي ...
٦٤٢	الأب	للكاتب الألماني ولهم شبتبون ...	بقلم الدكتور على حسين ...
٦٥٢	إغراء الشيطان لآدم وحـواء	من الأدب الفرنسي	بقلم الأديب محمود الرصـق ...
٦٥٧	عابد الشمس	أقصوصة مصرية	بقلم الآنسة جميـلة العلايلي ...
٦٦٦	الطائر الأزرق	للكاتب الأسـباني روبين داريو	بقلم الأديب شكري محمد عياد
٦٦٩	جندي قبـل الاعدام	عن الانجليزية	بقلم الأديب مصطفى صبحي ...

حياة للغير

أقصوصة مصرية

بقلم الأستاذ نجيب محفوظ

ساعة الأصيل هي الساعة المختارة التي يهبط فيها عبد الرحمن أفندي إلى حديقة البيت الصغيرة وهي عادته التي يلازمها أو التي تلازمه أغلب شهور السنة ، لأنه من القلة النادرة التي لا تزاح إلى ترك البيت إلا لعمل أو ضرورة . وقد نزل إلى الحديقة ذلك اليوم من أيام سبتمبر المعتدلة ، وألقى عليها النظرة المعهودة ، وتمشى بين طرقاتها الملتوية يسرح بصره بين شجيرات الورد وأصص الزهور ، ثم جلس على أريكة على كثب من السور القائم من الأسلاك الشائكة الذي يفصل بين حديقة بيته وحديقة البيت المجاور ، وبسط جريدة من جرائد المساء كانت مطوية تحت إبطه ومضى يطالع ...

وكان في مشيته كما كان في جلسته آية الرزانة؛ فمن كان يراه لا يشك لحظة في أنه بإزاء رب بيت وعاهل أسرة ؛ فحركاته وإيماءاته تقرن دائماً بالهدوء والاتزان ، ونظرة عينيه تلوح فيها الرزانة والرجولة والمسئولية ، ورأسه الكبير وشاربه الغزير يدلان على أنه ابن أربعين وإن كان في الحقيقة لم يجاوز الخامسة والثلاثين إلا بشهور قلائل . وكان مستغرقاً في مطالعته حين استيقظ فجأة على صوت رقيق يهتف به قائلاً :

— سعيدة يا عمي ...

فأزاح الجريدة عن وجهه ونظر إلى حديقة البيت المجاورة نظرة التمع فيها الابتهاج فرأى وجهاً مشرقاً يرنو إليه بعينين سوداوين صافيتين يطالعانه بالبراءة والحسن ، فأحس إحساس الحران هب عليه نسيم بارد معطر بالياسمين ورد تحيتها قائلاً :

— أهلاً بالآنسة سمارا !

فابتسمت إليه ووقفت تلاعب كلبها الأبيض الصغير . كانت في السادسة عشرة ، يتجاذب وجهها الصبوح وقدها المشوق براءة الصبا وأنوثة الشباب وأشار إلى كلبها وسألها :

— كيف هو اليوم ؟

— تم شفاؤه ... الحمد لله ...

فضحك قائلاً :

— لعل هواء الأسكندرية لم يوافق مزاجه ؟!

— على العكس كان يعدو على الشاطئ والدنيا لا تسعه من الفرح ...

فنظر إلى وجهها الذي كسا الشاطئ بياضه حمرة كأنه غمسه في الشفق وقال برقة :

— لقد اكتسبت بشرة جديدة يا سمارا !

فاستضحكت ، وعدا الكلب في تلك اللحظة فولته ظهرها وعدت وراءه ...

وبدا عليه تغير ظاهر ، فغاضت من عينيه نظرة الجد والرزانة وخلفتها نظرة حنان وأحلام ، وطاب له أن يختلس منها نظرات طويلة سعيدة ، فشاهدها ، وهي تجلس إلى الكرسي ، وتنحني لتلاعب كلبها الصغير ، وجعلت أنامله تتخلل شعره الأبيض

الطويل ، ومضى الكلب يلعق يدها مسروراً ويثب على ركبتيها وذنبه يرقص طرباً ، وفى أثناء ذلك تدلت خصلات شعرها الحريرى وحامت حول عنقها وخديها ، وكان فى مشاهدته سعيداً مبتهجاً ، ولكن انقبض صدره فجأة ، فلوى رأسه ونظر إلى الأمام بعينين لا تريان شيئاً ، لأنه تذكر أن سلوكها نحوه لم يتغير منذ كانت تدرج فى الطفولة والصبا ، وأنها ما تزال تناديه بقولها « عمى » كما كانت تفعل وهى صغيرة تلعب بالعرائس ، وكان فيما مضى يفرح بهذا النداء ويعده آية على ما له فى نفسها ونفس أبيها من المودة والصداقة ، أما الآن فهو يضيق به ويتأذى منه ولا يكاد يسمعه حتى ينقبض صدره وتتولى عنه المسرة

واتجه بصره إليها مرة أخرى وتساءل — ولم يكن يفعل ذلك للمرة الأولى — أمن المستحيل أن تصير سمارا زوجى يوماً من الأيام ؟

وهز رأسه فى إنكار واستغراب كأن الفرض من المستحيلات حقاً ، ولكنه لم يسلم بلا جدال فتساءل مرة أخرى : ما وجه الاستحالة ؟ ... العمر ! ... فهو ابن ستة وثلاثين وهى بنت ستة عشر ، فعشرون عاماً تفصل بينهما وهو عمر طويل يبرر « عمومته » لها فكيف يتأتى للعم أن يصير زوجاً وحبيباً ؟! حقاً إن الكثيرين لا يعترفون بعقبة العمر ، ولا يزالون عند حكمها ويذللونها بغير مبالاة ، ولكن لكل تضحية من هذا القبيل ثمن ، فما عسى أن يكون الثمن الذى يبذله لمثل هذه التضحية الغالية ؟ ... هو فى الواقع ليس إلا موظفاً منسياً فى وزارة الداخلية لا يتجاوز مرتبه الخمسة عشر جنيهاً فلا مكانة له يعتد بها ، ولا مال له يستدل به على نقائصه ستراً من الرواء والجلال ؟ ومع ذلك فهو يحبها ، ويبدو له أنه لم يكن من حبها بد ، وكيف كانت تتاح له النجاة منه وقد كانت تنمو تحت بصره يوماً بعد يوم ستة عشر عاماً ؟ ... وكانت إلى ذلك الإنسانة الوحيدة من الجنس الثانى التى رمقته بها الأقدار فى عزلته القاسية ... فتسرب الحب إلى قلبه خفية ، فى أناة وهدوء ، وبلا قصد أو حذر تسرب الكرى إلى أجفان حالم مستسلم إلى هبات النسيم اللطيفة فى جلسة طويلة هادئة على شاطىء النيل ...

وكان فى أول عهده بها يتمتع بطفولتها السعيدة ويجد فيها منفذاً لحنان صدره المكتوم ، فلما أن انقلب عاشقاً أنشبت فيه الحيرة أظافرها وحرم القناعة السعيدة وصار يعذبه كل شىء حتى عطفها وحديثها ، لأنها كانت تقبل عليه ببراءة ولم تشعر حياله شعور امرأة بإزاء رجل ، وقد حدجها مرات بنظرات نفذ منها لهيب الهوى قهراً فلم تستجب له ولم تحس به وأصرت على أنه « عمها العزيز » لا أقل ولا أكثر ! ما عسى أن يكون ردها لو طلب يدها ؟ ... كيف يكون شعورها ؟ ... وكيف تكون دهشتها ؟ ... وماذا تقول لأبيها ؟ ... وماذا تقول لنفسها ؟ ... وهل يمكن أن يراها بعد ذلك كما يراها الآن فى حديقتها وأن يتمتع برؤيتها مقبلة مدبرة محدثة مداعبة أم ينقطع عهده بها إلى الأبد ؟

وهب أنه وجد من نفسه الشجاعة الكافية لأن يفاتح أباها — صديقه العزيز — فى هذا الشأن الخطير فما عسى أن يقول له ؟ ... يا له من قول عسير ! ... وفكر طويلاً ، ثم أغمض عينيه وحدث نفسه وكأنه يحدث صديقه : « صديقى العزيز لقد جئت أحدثك فى أمر خطير لم تكن تتوقع أن أحدثك فيه أبداً ، وربما لم أكن أتوقع ذلك أنا أيضاً ، ولست واثقاً من موافقتك ولا من أهليتى للطلب الذى أتقدم به ولكنى لم أره أن أضيع فرصة ذهبية لمجرد توهمى الإخفاق ... سيدى ... وصديقى ... »

ولم يتم حديثه لأن صوتاً عذباً أيقظه من حلمه قائلاً :

— أأنام أنت ؟

فانتبه خافق القلب وقد ولاه ما يشبه الرعب ، وقال :

— كلا ...

— معذرة ... رأيتك مغمض العينين ...

— كنت أفكر ...

— وفيم تفكر ؟

حدق فى وجهها بعينين حائرتين وتساءل بماذا يجيب ؟ ... أيقول لها فيك أنت ؟ ... ولكنها مجازفة سابقة لأوانها ، فلازم الصمت ، وأحس رغم ارتباكه بالدعة سخرية لاضطرابه أمام هذه الطفلة ، وكان ينعم النظر فى عينيها السوداوين ، وسرت دقيقة على جموده ، فشعر بسريان تخدير لذيذ ولم يعد يرى إلا سواداً جميلاً ، ثم لاحظ تغيراً فجائياً يطرأ عليها ، فرأى وجنتيها تتوردان وشفتيها تتقلصان ، وعينيها تتحولان إلى هدف وراءه ... وشاهدها تفر نافرة إلى داخل البيت ، ونظر خلفه دهشاً فرأى أخاه أنور يقف مبتسماً ويمد له يده للسلام . وأحس بكآبة لم يدر ما سببها وخفق قلبه خفقان الخوف والريبة ، ولكنه سلم عليه مبتسماً وقال له : أهلاً كيف حالك يا دكتور ؟

فضحك الشاب وقال بصراحة :

— كم أنت سعيد يا أخى !

وأدرك ما يعنى من اتجاه بصره ولهجته ، وآلمه ذلك غاية الألم ، ولكنه تجاهل الأمر وقال بإنكار :

— سعيد ؟ !

— طبعاً ، من يحدث سمارا ينبغى أن يكون سعيداً

فابتسم ابتسامة صفراء وقال لنفسه : إما أن هذا الشاب خبيث ماكر ، وإما أنه غبى لا يفقه ما يقول معنى . ليس السعيد حقا من تحدثه سمارا ولكنه من تخجل من محادثته ومن يتورد وجهها حين رؤيته فلا تملك إلا أن تفر هاربة . . . هذا هو السعيد حقاً . . . أفلا يفهم ذلك هذا الشاب أم أنه يتغابى ويمكر ؟ !

على أنه كان يحرص على ألا يبدو عليه شىء مما فى نفسه ، فقال يغير مجرى الحديث :

— كيف كانت ليلتك بالأمس ؟

فجلس الشاب إلى جانبه وقال :

— كان قصر العينى أمس حافلاً بالحوادث المزعجة وسهرت أغلب الليل أستقبل صرعى القضاء والقدر

وكان عبد الرحمن يرمق شقيقه وهو يتكلم بعينين ساهمتين وعقله دائب على التفكير ... كان ذا قلب كبير يفيض حنانه ، فهو يحب شقيقه وقد أمده هذا الحب الأخوى بالعون والصبر فرباه ورعاه كما رعى أخوين له من قبل ، ولكن يداخله أحياناً من ناحيته خوف وجفول وربما أكثر من ذلك ... نعم هى الحقيقة فهو يكرهه أحياناً وهو أشد ما يكون كراهية له إذا جرى ذكر سمارا على لسانه ، فمجرد نطقه لذلك الاسم الحبيب يؤذيه ويعذبه وتستحيل هذه الكراهية المؤقتة مقتاً إذا وقعت عينا الفتى عليها أو عيناها عليه كما حدث منذ حين قليل ... على أن هذا لا يعنى أن هذه الكراهية عاطفة ثابتة فهى مجرد انفعال عنيف ، وغير ذلك فهو يحبه ، وينظر إلى مستقبله كشىء جميل من صنع قلبه وكده ، فأى حيرة وأى عذاب ... ! ترى هل يفطن الشاب إلى ما يحدثه فى نفس شقيقه الأكبر من الشقاء ... ؟ كلا ... هو بلا شك لا يتصور أن مثله يمكن أن يحب هذه الصبية الجميلة !

وكان الدكتور الشاب يفكر فى تلك اللحظة من حياته السعيدة فى أمور هامة فقال لأخيه :

— لدى أمور هامة أريد أن أفضى إليك بها

ولم يدعه قلبه القلق يرتاح إلى هذه الرغبة فقال :

— إخلع ملابسك أولاً وارتح قليلاً ...

ولكن الشاب قال بإصرار :

— استمع لى أولاً يا أخى فإن حياتى فى مفترق الطرق . . .

فسكت الرجل وأردف الشاب :

— سأنتهى بعد أشهر مدة تمرينى كطبيب امتياز فى القصر وقد أخبرنى أستاذى الدكتور

براون بأن النية متجهة إلى اختيارى عضواً فى بعثة كلية الطب . . .

فأحس الرجل بارتياح غير منتظر وقال بفرح :

— مبارك . مبارك . أنت أهل لذلك بغير شك .

والظاهر أنه كان لدى الشاب ما يقوله غير ذلك لأنه قال بارتباك وبصوت خافت :

ولكنى . . . أعنى . . . أريد أن أقول . . . إنى إذا سافرت فلن أسافر منفرداً . . .

— لا أفهم شيئاً . . .

فى الواقع أنه يفهم كثيراً ، أو فهم على الأقل ما جعل قلبه يرتد إلى الجفول ، وكان الشاب قد تغلب على ارتباكه فقال :

— سأسافر زوجاً إن شاء الله

— يا لها من مفاجأة ! . . . إنه لم يسبق لك التحدث إلى أحد فى هذا الموضوع . . . أليس كذلك ؟

— بلى . . .

— هل نبت فى رأسك على حين غرة ؟

— كلا ولكنى أوثر الصمت حتى أخرجنى عنه السفر المنتظر !

وسكت الأخ لحظة يغالب عواطفه ثم قال :

— هل أفهم من ذلك أنك وفقت إلى الاختيار ؟

فأحنى الشاب رأسه وأشار بذقنه إلى بيت الجار وقال :

— سمارا . . .

وساد الصمت ، وقلق الشاب لسكوت أخيه ، فسأله بلهفة :

— ما رأيك يا أخى ؟ . . . ألا تهنيك ؟

فقال الآخر بسرعة :

— نعم الاختيار . . . نعم الاختيار . . .

فابتهج الشاب وقال :

— أشكرك يا أخى . . . وأرجو ألا تنوانى ، فمذنى أن أذهب غداً إلى مقابلة والدها ولعلى لا أصدم هناك بما يخيب أملى

— حسن . . ولكن ما الداعى إلى هذه السرعة ؟

— لابد من السرعة فليس أمامى سوى شهور قلائل ينبغى أن يتم فى أثنائها الاتفاق والاستعداد للسفر إلى انجلترا

ثم ضحك الشاب وقال وهو يهم بالوقوف :

— ألا ترى أنى سأمضى شهر العسل خارج القطر كالوجهاء ؟

فابتسم الرجل ، وحياه الشاب وذهب إلى داخل البيت . . .

وتبعته عيناه حتى غيبه الباب ثم عادتا تنظران إلى الدنيا المحيطة نظرة ذاهلة لا تعى التفاصيل ، فأحس إحساساً غامضاً بالسعرة التى أخذت تشوب الكون والسكون السارى فى مفاصله ، وضاق بجلسته فقام يتمشى فى الحديقة الصغيرة يائساً محزوناً مختنقاً ودار دورتين ثم رجع إلى الأريكة وارتمى عليها بشىء من العنف كأنه يسلم إليها حظه التعس لا جسمه المنهوك . . .

ووجد فى تلك اللحظة رغبة خفية قاهرة فى الفرار إلى الماضى . . .

فطار خياله فى الزمان عشرين عاماً فى غمضة عين إلى تلك الفترة من العمر التى تبدو فيها الحياة كقطعة من العجين فى يد الخيال يعبث بها كما يشاء ويصنع منها ما يملى عليه هواه بعيداً عن قساوة الواقع . فى ذلك الوقت البعيد كان هذا الرجل الممتلئ رزانة ووقاراً وحزناً صبياً مرحاً مدلالاً يفيض قلبه بالأفراح والآمال وقد ميزته الطبيعة منذ رأى النور ، فكان أول من خفق له قلب والديه بالأبوة والأمومة من الأبناء . ثم كان من بعد ذلك غلاماً مجتهداً تضىء حياته المدرسية استعدادات عالية ومواهب نامية تبشر بالنبوغ والتفوق والمستقبل

الصمام ، ولكن الحقيقة أن ما خفى من فضائله كان أعظم ، وأنه كان ينتظر الفرصة فقط للظهور فى أبهى الحلل ، وقد جاءت هذه الفرصة ولكنها لم تكن والأسف سوى وفاة والده ...

ترك الوالد المتوفى أسرة بائسة مكونة من أرملة وأربعة أبناء أكبرهم — عبد الرحمن — فى مستهل الشباب ، وأربعة جنيهات معاشاً ، وهكذا تصدت الحياة للشاب السعيد الواسع الآمال بوجه عبوس ، استأدته أشد الواجبات ، وحتمت عليه أن يخلع رداء الطفولة ليحمل على عاتقه اللدن أثقل التبعات . . .

وكان عليه قبل كل شىء أن يتناسى أطماعه ، ويدرج فى الأكفان آماله ، ويقبر مواهبه لكى يهيىء للأسرة الضعيفة حياة سعيدة ، ويوليها بعض العناية التى كان يوليها إياها الأب الراحل ، ورضى كارهاً بوظيفة بائسة لم يتصور قط أن تنتهى إليها آماله ...

كانت تلك الأيام فى بدئها مؤلمة شديدة المرارة نبعث فى النفس الأسى والحسرة واليأس ؛ ولكنها لم تبلغ به قط حد الثورة أو الغضب الهائل . لماذا ؟ كان قلبه كبيراً ينضح بالحنان والأخوة . فوهبه أمه وإخوته ، وهانت لذلك تعاسته ، وخففت الأيام من وقع الخيبة فى نفسه ، وتجددت فى قلبه آمال أخرى لا تتعلق بمستقبله هو ، ولكن بسعادة إخوته ومستقبلهم ، وذاق سعادة جديدة ، هى السعادة التى يحدثها بذل النفس والعمل من أجل سعادة الغير ، وبذلك شغل الشاب مكان أبيه ، ودخل فى طور الرجولة الحق قبل الأوان ..

وذكر هنا كيف أنه كان يشعر بالفراغ الأليم رغم امتلاء حياته بالآمال والأعمال ، ولكنه كان ينجح دائماً فى إبعاد فكرة الزواج عن قلبه حباً فى أسرته وإيثاراً لإخوته ، واستوصى بالصبر ، لكن أثبتت له الأيام أن إخوته أقل صبراً وأعنى بنفوسهم منه وربما كان للزمن فى ذلك شأن وأى شأن ، فما كاد أكبرهم يتخرج ضابطاً فى مدرسة البوليس حتى تزوج وترك العبء له وحده وتبعه بعد قليل أخوه الثانى المهندس فاضطر إلى البقاء أعزب حتى هذه السن ...

ثم ذكر كيف أنه كاد يختار أخيراً ما يكمل به حياته وكيف جاء الاختيار بعيداً عن التوفيق وكيف أتته الطعنة النجلاء من يد طالما آثرها بالحب والعطف ، وقد طعنه وهو يضحك ضحكة مشرقة بالأمل والسعادة كأنه ذاك الحكيم الذى يترنم بأنشودة السلام وقدمه تقتل عشرات الأحياء التى لا تراها العين ...

وفيما هو فى أحلامه إذ سمع صوتاً ينادى قائلاً :

« عبده ... لماذا تبقى فى الظلام »

هذا صوت أمه الحبيب ... رباه ... لقد لفه الليل وهو لا يدرى ...

وقام من جلسته متثاقلاً وسار ببطء إلى الداخل وبادرته أمه قائلة :

— هل حدثك أنور ؟

فقال : « نعم ... »

— ما رأيك ؟

— اختيار جميل يا أماه ، سأذهب غداً لمقابلة جارنا وأطلب يد ابنته الجميلة لابننا النابه !

فقالت بحنان :

— لم يبق إلا أنت !

ولازم الصمت هذه المرة . . .

من يعلم ؟... ليس الذى يلقى الآن بأشد قساوة مما لقى فى ماضيه ، وما هذه بأول كارثة يمتحن بها قلبه الكبير ، وقد علمته الحياة فضيلة الصبر كما علمته حقيقة أجل : هى أنه يستطيع أن يسعد وهو يحقق السعادة للآخرين ...

نجيب محفوظ